بسم الله الرحمن الرحيم

كيف نستفتي القرآن

أصول وضوابط

طه جابر العلواني

١- الأصل الأول: إنشاء الأحكام ابتداءً والكشف عنها أمر إن اختص الله -تعالى- بهما فهما شأن إلهيٌّ محض وسلطة إلهيَّة منحصرة فيه -سبحانه- لا تتجاوزه إلى من عداه. ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ (الأنعام:٥٧)، ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص:٧٠) وفي الآية (٨٨:القصص)، ﴿أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ (الأنعام:٦٢)، ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف:٤٠)، ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (يوسف:٦٧)، ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ (غافر:١٢).

وقد اقتضت حكمته -جل شأنه- أن ينقل هذه السلطة إلى كتابه الكريم في الرسالة الخاتمة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوْتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ (آل عمران:٢٣).

٢- الأصل الثاني: سنَّة رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلَّم- تأويل للقرآن وتطبيق نبويٌّ معصوم لآياته لا تخرج عنه ولا تضيف إليه ولا تتجاوزه، ولا تستوي تمامًا معه، ولا تنسخ شيئًا منه، ولا تقيّد سلطته فضلًا عن أن تلغيها، ولا تدور خارج مداره، بل تلتحم به التحامًا بحيث لا تنفك عنه، ولا تخرج عن نطاقه. والقرآن يبيِّنها؛ لأنّه قد قال تعالى فيه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾

(النحل:٨٩) والسنَّة شيء داخل في عموم ما يبيّنه القرآن المجيد. كما أكّد ذلك الإمام الشاطبيُّ وغيره. والقرآن المجيد يحدّد لها صلاحيّاتها وأدوارها. ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ * وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ * وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ * وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ * وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (الحاقة:٣٨-٥٢) وطاعة الرسول مستمدة منه -سبحانه- فلا تعود على أصلها بنسخ أو تعارض. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل:٤٣-٤٤).

٣- الأصل الثالث: الرسول والقرآن معصومان عصمة إلٰهيَّة في كل ما يتعلق بالرسالة: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الواقعة:٧٥-٨٠) وقال في رسوله الكريم: ﴿وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة:٦٧).

٤- الأصل الرابع: القرآن المجيد في كل أحكامه وتشريعاته منسجم مع الفطرة الإنسانيَّة مقدِّر لحدودها وأبعادها فلم يكلّف الإنسان بما لا يطاق ولا بما يجلب حرجًا ومشقة زائدة، أو يتنافى وقدرات الإنسان التي وصفها الله -تعالى- بالضعف ﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء:٢٨)، ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ (البقرة:٢٨٦)، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (الطلاق:٧)، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن:١٦)، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج:٧٨). وذلك كلُّه يقتضي تحديدًا دقيقًا في كل مجال من مجالات الحياة لما يطيقه الإنسان ولما

يشق عليه أو يثقل ولما لا يستطيعه، فهذه أمور لا يسع الفقيه جهلها، ومن جهلها فقد فَقَد صلاحيَّته للفتوى. يضاف إلى ذلك ضرورة ملاحظة مقصد التخفيف والتيسير باعتبارهما جزءً من قصد الشارع ﴿يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء:٢٨)، ﴿يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة:١٨٥)، فكل ما خرج عن دائرة اليسر إلى العسر وعن دائرة التخفيف والرحمة إلى دائرة التشديد والمشقة فإنَّه مستبعد من دائرة التكليف الإلهيّ للإنسان.

٥- الأصل الخامس: الفطرة التي فطر الله الناس عليها ملاحظة ومراعاةٌ في سائر التشريعات، وهي أساس مهم في تقدير طاقات الإنسان وقدراته من ناحية، ومن ناحية أخرى تمثّل أساسًا داخليًا لدى الإنسان للاستجابة إلى أحكام الشرع فإذا كان الوحي موجهًا للإنسان من خارجه فإنَّ الفطرة الإنسانيَّة هي المسؤوله عن التجاوب مع الوحي من داخل وقد جعلها الله في الإنسان بهذه المثابة، وقد تركزت في الإنسان فطرة حب الخير والنفرة من الشر وحب الصدق والنفرة من الكذب وحب الحق والنفرة من الباطل ولابد من جعل هذه الفطرة جزءً هامًا في دراساتنا الأصوليَّة وتوظيفها في التعامل مع الأحكام الشرعيَّة فهي التي تعمل من داخل الإنسان على توليد دوافع الخير وتقليص دوافع الشر فيه.

٦- الأصل السادس: العقل اختلف علماؤنا في تفسيره ولم يعن بالحديث عنه بتفصيل إلا عدد محدود في مقدمتهم الحارث المحاسبيّ، ثم الراغب الأصفهانيّ، فهو يُطلق عند بعضهم على القوة الإنسانيَّة التي بها يتقبَّل الإنسان العلم ويمارسه. ويطلقه بعضهم على المعارف والخبرات والتجارب التي يستفيدها الإنسان فتمنحه قوة عقل وقد نسبوا إلى الإمام علي أبياتًا من الشعر فيه، هي:

العقل عقلان مطبوع ومسموع *** ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع

كما لا تنفع الشمس *** وضوء العين ممنوع

ولم يرد لفظ "العقل" في القرآن مصدرًا أو اسمًا بل كان يستعمل على الدوام بصيغة الفعل فيقال: ﴿**لاَ يَعْقِلُونَ**﴾ (**المائدة:١٠٣**)، ﴿**وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**﴾ (**العنكبوت:٤٣**)، وقال: ﴿**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ**﴾ (**البقرة:١٧١**) وقد ارتبطت التكاليف الشرعيَّة كلُّها بالعقل فإذا وجد العقل وجد التكليف، وإذا فقد العقل فقد التكليف. والعقل مهم جدًا في تلقي النصوص ومعرفة مراتبها وعقد الموازنات بينها، واستنباط معانيها وحسن تنزيلها على الوقائع بعد تكييفها وصياغتها أسئلة وحسن تفسيرها وتأويلها؛ ولذلك كان لابد من أن يأخذ "العقل" موقعه المتميز بين أصول الفقه.

ومع أن الأصوليِّين يغلب أن يضعوا العقل دليلًا من بين الأدلة الفقهيّة يجعله بعضهم رابع الأدلة بعد الكتاب والسنَّة والإجماع، والبعض قد يجعله ثالث الأدلة بعد دليلي الكتاب والسنَّة. لكن النظر إليه ومنهج إعماله قد شابته شوائب كثيرة نتيجة ذلك الجدل العقيم الذي ثار حوله بين المعتزلة والأشاعرة ومن إليهم؛ ولولا ذلك الجدل وما ترشّح عنه من أفكار مشوّشة لأخذ "العقل" دورًا أفضل بكثير من ذلك الدور الهامشيّ. ولَمَا وُضِع "العقل" موضع الاتّهام والمحاصرة في مجالات عديدة لدى الأصوليّين والفقهاء وغيرهم، مما أدّى إلى تحجيم "الاجتهاد" وحصره في القياس وحده عند إمام جليل القدر هو الإمام الشافعيّ به.

٧- الأصل السابع: الخطاب الإلهيُّ في القرآن المجيد خطاب عام في الأشخاص والأزمنة وشامل وعالميٌّ ودائم فلا يخرج عن عمومه وشموله وعالميَّته ودوامه واستمراره إلا بدليل مماثل لأدلة العموم والشمول والعالميّة والدوام في الثبوت والدلالة.

٨- الأصل الثامن: "الحِلّ" في التشريع القرآني ورد بأدلة عامَّة مثل ﴿**خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ (**البقرة:٢٩**). أمَّا "التحريم" فلأنَّه استثناء فقد فصّله الله –سبحانه وتعالى– تفصيلًا، وحصر سلطة التحريم في ذاته العليّة فقال –جل شأنه: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ لَكُم**

مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلاً قُلْ آللّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللّهِ تَفْتَرُونَ * وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ * وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (يونس: ٥٩-٦١) وقال -جل شأنه- مؤكدًا على تفرده بالتحريم والتحليل: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاشْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ * إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾ (النحل: ١١٤-١١٦) وقال -جل شأنه: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: ١٥١-١٥٣) وفي قوله: "قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم" تنبيه إلى أنَّ الرسول لا يملك سلطة تحريم أو تحليل. وقد جاءت هذه بعد أن بسطت الآيات من (١٣٦: ١٥٠) تصرفات المشركين ومواقفهم في قضايا الحلال والحرام وفقًا لأهوائهم وإيحاءآت شركائهم. فرد على المشركين في كل ما افتروه من تحريم وتحليل في الآيات الخمسة عشر (١٣٦: ١٥٠) فذكر سبحانه خمسة

نواه وخمسة أوامر، وكرّر الأمر بالوصيَّة ثلاث مرات مما جعل كثيرًا من العلماء يذهبون إلى أنَّ هذه الآيات (١٥١: ١٥٣) قد تناولت "الوصايا العشر" في صيغها القرآنيَّة.

٩- الأصل التاسع: كل أمر بشيء يتضمن النهي عن ضده وكل نهي عن شيء يتضمن الأمر بضده وقوله تعالى: ﴿**قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا**﴾ (**الأنعام: ١٥١**) بدأ بالحرام أو المحرم لأنَّه أكثر ما يسقط به أولئك المشركون فمن طبيعتهم المسارعة إلى التحريم فكأنَّه –سبحانه– أمر نبيّه الكريم بعد أن سرد مجموعة من تحريمات لا دليل عليها بأن يؤكد أن سلطة التحريم خاصّة بالله –تبارك وتعالى– ومع أنَّ الوصايا التي أمر رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلّم– بتلاوتها قد اشتملت على واجبات إضافة إلى المحرمات ولكن لأنَّ الله تعالى قد ساقها في معرض بيان الحاكميّة وسلطة التحريم وإنشاء الأحكام والكشف عنها وحصر ذلك بالله –تبارك وتعالى– بدأ بالتحريم ليقول لهم: إنَّما الحرام أو المحرَّم ما حرمه الله لا أنتم والحلال ما أحله هو لا أنتم، فليتنبّه إلى أساليب القرآن المجيد وعاداته في التعبير عن هذه الأمور.

١٠- الأصل العاشر: طاعة رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلّم– ثبت وجوبها بالقرآن المجيد، فالقرآن هو الأصل لطاعته في سنَّته فيستحيل أن تعود السنَّة على القرآن وهو أصلها بالنسخ أو التعارض أو الرجحان عليه أو إيقاف العمل به بأيّ حال من الأحوال والسنَّة دراية ورواية وفي إطار العلاقة بالقرآن الكريم يتركز الاهتمام على المتون وانسجامها مع القرآن لأنَّ الإسناد مجرد طريق موصل إلى المتن فكل حديث أو متن اشتمل على قول أو فعل يعود على القرآن بما ذكرنا أو يعارضه فهو رد، والقرآن المجيد ورسول الله –صلى الله عليه وآله وسلَّم– كلاهما معصومان بعصمة إلهيَّة أمَّا القرآن فقد قال –جل شأنه– في عصمته: ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ (**الواقعة: ٧٥–٨٠**) وأما رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلَّم– فقد جاء النص على

عصمته من القول بالهوى أو التشهّي ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (النجم:١-٤) فالسنَّة لا يمكن أن تُحِلّ ما حرّم القرآن أو تحرم ما أحل، فذلك كلّه يندرج في مجال التقوُّل الذي عصم الله رسوله منه وقال -جل شأنه: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (الحاقة:٤٤-٤٧).

١١- الأصل الحادي عشر: لسان القرآن مع كونه عربيًا لكنّه لسان تميّز بالاستعمال الإلهيّ للعربيّة فكان لسانًا خاصًا متميزًا منتقى من بين اللسان العربي العام. ولذلك فإنَّ العائد المعرفيّ لمفردات القرآن الكريم لابد أن يلاحظ فيه هذا الامتياز وأن لا يخضع بشكل كامل لأحكام وقواعد لغة العرب كما هي دون ملاحظة هذا الفارق الأساس، فالقرآن فيه الإطلاق واللسان العربي فيه النسبيَّة فلا نجد في لسان القرآن ترادفًا ولا اشتراكًا ولا ما شابه ذلك من مصطلحات حكمت اللسان العربي المعتاد فمفردات القرآن تتمتع بدلالات معرفيّة يقوم عليها كونه بيانًا ومبينًا وتبيانًا لكل شيء وآيات مبينات فلا تختلط دلالات مفرداته إذا فسرنا القرآن بالقرآن كما تختلط دلالات مفردات اللغة العربيّة المعتادة، وللقرآن أصل لا يوجد بالنسبة للغة العربيّة الأخرى ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (الزخرف:١-٤) ولذلك فهناك فروق بين كثير من المفردات حينما نفسرها لغويًا قد تذهب عنا بعض معانيها الخطيرة، فهناك "الجعل والخلق واللمس والمس والروح والنفس والسوءة والعورة والضرب والجلد والهبوط والنزول والأميّ وما إليها" من مفردات قد لا يلتفت اللسان العربيّ في استعماله الإنسانيّ إلى الفروق بينها بالقدر الكافي ولذلك وجدنا في التفاسير وفي القراءآت كثيرًا من المشكلات وليرينا القرآن أهميّة ذلك فقد وقف عند "راعنا وانظرنا" وفرق بينهما لئلا يختلط الأمر ويختلط "العائد المعرفيّ" أو المعنى "فراعنا" مثل "راعينا" تقال لمن يرعى البهائم "وانظرنا" تعبير خاص بمن ينظر إلى بشر نظرة عناية؛ ولذلك قال: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ (هود:٣٧)، وقال:

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ (القمر:١٤) وقال: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (الطور:٤٨)، وهذه كلها من "العناية". وأما "الرعاية" فقد جاءت في نحو قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى﴾ (طه:٥٤)، وقد تستعمل "الرعاية" للبشر في ظروف استثنائيّة أولها إذا تجاوز الإنسان ما هو مطلوب منه إلى ما فوقه ثم فرط فيه؛ ولذلك قال -جل شأنه- في أهل الرهبنة: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد:٢٧) وفي رد الأمانات إلى أهلها ومغالبة رغبة التملك للمال السهل المتاح وهو مال الغير قال -جل شأنه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون:٨)، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المعارج:٣٢)، وعلاقة الله بالبشر علاقة عناية لا رعاية لأنّ الرعاية -كما أشرنا- فيها تحديد للعلاقة بين الراعي وبهائمه خلافًا للعناية اللائقة والمناسبة للبشر، فلابد من التنبّه لذلك كلّه والتعامل مع لسان القرآن بالقرآن ذاته ومعانيه ومغازيه.

١٢- الأصل الثاني عشر: لا نسخ في القرآن المجيد ولا دليل على جوازه ولا وقوعه وما ظنّه بعض المجتهدين تعارضًا عالجوه بدعوى "النسخ" فإنّه لم يكن بحاجة لأكثر من تدبُّر دقيق محفوف بعناية الله -سبحانه- ليصل المجتهد -آنذاك- إلى أنّه لا تعارض ولا ما يقتضي القول بالنسخ، وقد أوضحنا ذلك مفصلًا في كتابنا المطبوع (نحو موقف قرآنيّ من النسخ فليُرجع إليه).

١٣- الأصل الثالث عشر: لا تشابه في القرآن الكريم ولا دليل على وقوع المتشابه فيه وقد أوضحنا ذلك مفصلًا في كتابنا المطبوع (المحكم والمتشابه فليُرجع إليه).

١٤- الأصل الرابع عشر: أن يفسر القرآن بالقرآن فذلك أسلم وأدق وأقرب إلى الصواب من أي نوع آخر من أنواع التفسير، وهو ما كان يفعله رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلّم- فالقرآن أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، فما أحكم بناءه في موقع بحيث لم يتضح معناه لهذا العالِم أو ذاك فإنَّه قد فُصِّل في مواضع أخرى من القرآن الكريم وفي التفصيل بيان المحكم وإظهار ما فيه، والكشف عن معانيه، وكل ما ظن متشابها فإنَّ له في تفاصيل القرآن معاني واضحة ظاهرة قد لا يحاط بها -كلّها - كما هي في الواقع ونفس الأمر ولكن تظهر بشكل يزيل الغموض والإبهام عن ذهن المجتهد.

١٥- الأصل الخامس عشر: القرآن المجيد يتمتع بوحدة بنائيَّة تجعله كالكلمة الواحدة في بعض الأحيان وتجعله كمحيط لا ساحل له في أحيان أخرى، والوحدة البنائيَّة تحفظ القرآن المجيد من كثير من القضايا الغثيثة التي حفلت بها ما عرفت "بعلوم القرآن" وتعين المجتهد الذي أنار القرآن عقله وقلبه وأضاء قوى وعيه أن يتلوه على بصيرة دون أيّ إحساس بتعارض أو تناقض أو إبهام أو إغلاق أو ما شابه ذلك من عيوب الكلام.

١٦- الأصل السادس عشر: الجمع بين القراءتين أصل من أهم الأصول التي لابد من مراعاتها في فهم القرآن وحسن التعامل معه وإدراك معانيه والوصول إلى هدايته ونحن نمارس مهام الاستخلاف ولها قواعدها ووسائلها فلابد من الإلمام بمناهج الجمع بين القراءتين، قراءة الوحي وقراءة الكون؛ فذلك مما لا يستغني عنه طالب علوم القرآن الكريم والباحث فيه. وقراءة القرآن قراءة جمع بينه وبين السنّة.

١٧- الأصل السابع عشر: الإجماع المحتاج دعوى كونه دليلًا إلى مراجعة منهاجيّة قرآنيّة شاملة. فهو يقوم على فرضيّات كثيرة منها: إمكان تحقق إجماع علماء أمَّة من "ذريَّة من حمل الله مع نوح" فسورة هود تخبرنا عن موقف قوم نوح من دعوة التوحيد، وعرضت أنباء الغيب التي لم يكن يعلمها رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلّم- ولا قومه. وبيَّنت أنَّ إجرام

الملأ من قومه ورفضهم لعقيدة التوحيد، وعدم قبولهم لما جاءهم به رغم استمراره في دعوتهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، مما اقتضى تطهير الأرض منهم، وغسلها بالطوفان المذهب للعين والأثر. وحفظ ذلك العدد القليل الذي آمن ليخلق —جل شأنه- أممًا من ذراريهم. فكانت "عاد" الذين أرسل الله -عز وجل- إليهم أخاهم "هودًا" وبعد كل جهوده معهم أجمعوا على الكفر والشرك ورفض التوحيد، فنّجى الله هودًا والقليلين الذين آمنوا وانحازوا إليه وأهلك الباقين: ﴿... **أَلاَ بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ**﴾ (**هود:٦٠**). وجاء من بعدهم "ثمود" الذين أرسل إليهم "صالحًا" فما آمن به وانضم إليه إلا عدد قليل جدًا. فأخذ الله ثمود بالصيحة ﴿... **فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ * كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْدًا لِّثَمُودَ**﴾ (**هود:٦٧-٦٨**). وقوم لوط وقوم إبراهيم. وأهل مدين الذين قال لهم نبيّهم شعيب: ﴿**وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ**﴾ (**هود:٨٩**) وكانت نهايتهم أن أخذتهم الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين ﴿**وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ * كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ**﴾ (**هود:٩٤-٩٥**). ثم أورد —سبحانه- قصة سيدنا موسى وفرعون وقومه. وعقّب على ذلك بقوله —جل شأنه: ﴿**وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾ (**هود:١١٨-١١٩**) . لقد اقتضت حكمة الله أن يودع الإنسان أمانة الاختيار، ولتحقيق هذه الحكمة الإلهيّة خلقهم أحرارًا مختارين ولم يجعلهم مجبرين مسخّرين؛ فكان الاختلاف طبيعيًا. ﴿**وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ**﴾ (**يوسف:١٠٣**)، ﴿**وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ**﴾ (**الأنعام:١١٦**) فأكثر الأمم قد اتفقت غالبيّتها العظمى على الباطل وعلى الشرك ونبذ التوحيد، ويرى الخالفون مصائر السالفين ولا تتغيّر مواقفهم: ﴿**وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا**

الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا * وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا * وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ (**الفرقان:٣٧-٣٩**). لقد أهلكت تلك القرون بوسائل مختلفة من صيحة إلى رجفة إلى ريح صرصر عاتية إلى ظلل سوداء إلى جعل أعاليها أسافلها. لقد أرسل الله بعد ذلك موسى إلى فرعون وملأه ومع أنَّ استجابتهم لم تكن بأفضل كثيرًا من استجابة من سبقهم من الأمم، لكنّ كلمة الله -تعالى- سبقت باصطفائهم، وتحريرهم من فرعون وملأه، ولو أنّهم أحسنوا الاستجابة والتلقي لقدّموا أفضل مثال أو نموذج للبشر حين يكونون عبيدًا للفراعنة، ثم ينتقلون إلى عبادة الله الواحد الأحد، لكنَّ فعل عبوديّتهم الطويلة للفراعنة وتأثيره فيهم لم يسمح لهم أن يكونوا عبادًا لله صالحين. لقد فشلوا في ذلك لأنّهم حملوا كتاب الله الذي أنزله الله لهدايتهم فيه هدى ونور كمثل الحمار يحمل أسفارًا، فلم يهتدوا ولم يستضيئوا بأنواره. بل كذّبوا بذلك فلم يكتفوا بجهلهم به وسوء استعمالهم له، بل أضافوا إلى ذلك التكذيب بآيات الله ﴿**وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ (**الجمعة:٥**). ومع ذلك ومع قتلهم لبعض الأنبياء وتكذيبهم للبعض الآخر فإنّه -سبحانه- لم يستأصلهم -كما استأصل من قبلهم، بل أبقاهم، ﴿**مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ**﴾ (**المائدة:٦٦**).

فأرسل الله -تبارك اسمه- إليهم بعيسى مصدقًا لما بين يديه من التوراة، ومجدّدًا للدين وليحل لهم بعض الذي حرّم عليهم، وبدلًا من الاستجابة له والعودة إلى الصراط المستقيم حاولوا صلبه وقتله وإغراء الرومان بذلك، ثم بعث الله خاتم النبيّين محمدًا -صلى الله عليه وآله وسلّم- برسالته العالميَّة بحمل الكتاب الكونيّ لهم ولغيرهم؛ فكانوا أشد الناس عداوة له ورفضًا لكل ما جاء به.

وكان خاتم النبيّين مكلَّفًا بأن يدعوَ الأميّين الذين لم يأتهم من قبل أنبياء ورسل، وما أنذر آباؤهم فهم غافلون. ليُكوّن منهم القاعدة والمنطلق لهداية الناس كافّة -بعد ذلك- وإيصال الرسالة إليهم. والمرحلة الثانية هي دعوة أهل الكتاب من يهود ونصارى، وتصحيح مسارهم وضمهم إلى قافلة الرسالة الخاتمة؛ لتظهر قيم الدين القيّم والحنيفيَّة الإبراهيميَّة السمحاء على الدين -كلّه- ويعم النور الأرض،

ويرثها عباده الصالحون. ولكنّ أهل الكتاب واليهود منهم خاصّة كانوا في جزيرة العرب ينتظرون ظهور خاتم النبيين، وحين ظهر وعرفوه كما كانوا يعرفون أبنائهم غلبت عليهم طباعهم الموروثة في التعامل مع الأنبياء ﴿فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة:٨٧) فكذبوه وظاهروا المشركين عليه، وحاولوا اغتياله أكثر من مرّة ثم نصره الله عليهم، وكتب الله عليهم الجلاء من جزيرة العرب فأجلاهم رسول الله منها، ولم يستأصلوا –أيضًا– لا بصيحة ولا برجفة ولا بطوفان ...؛ لأنَّ الأميِّين –والعرب في مقدمتهم، بل وقادتهم –كانوا في علم الله سيتّبعون سنن من قبلهم فيحملون القرآن كمثل الحمار يحمل أسفارًا كما حملت يهود التوراة من قبلهم، وسيسقطون في مثل ما سقط فيه أولئك رغم كل ما حذَّرهم الله منه، فبقاء أمَّة مثل يهود تتحداهم، وتستفزهم، وتحملهم دائمًا على حالة من التوتر تجعلهم يتفكرون ويراجعون أنفسهم وعلاقتهم برسالتهم وكتاب ربهم أمر في غاية الأهميَّة فيهود يحملون من الدوافع لمعاداة الأميّين والعرب في مقدِّمتهم ما يكفي لكي يشغلوهم على الدوام. فكان أكبر تحدٍّ لهذه الأمّة التي سلكت سبيل يهود في التحريف فحين لم تتمكن من تحريف كتاب الله فتحت أبواب التفسير على مصاريعها أمام الإسرائيليّات والأكاذيب والأحاديث الموضوعة والضعيفة لتفسد فهم المسلمين له، وتطفئ جذوته في قلوبهم. وبذلك سرعان ما فقدوا وسطيّتهم وانشغلوا "بالفتح" عن الدعوة، وفقدوا وسطيّتهم واعتدالهم، وعبد بعضهم عجولًا لا خوار لها. ولو حملوا القرآن حملًا إنسانيًا بشريًا بأفئدتهم، وفهموه بعقولهم وقلوبهم، واهتدوا بأنواره لم يفقدوا خصائصهم ومزاياهم، ولم يصبحوا قطيعًا أو قطعانًا بعد أن كانوا أمَّة، ولا هملًا من العوام، بعد أن كانوا أمَّة شاهدة مبتعثة مخرجة للناس. ولا عبيدًا بعد أن كانوا أمَّة من الأحرار المحرّرين. وها هم بعد مرور أربعة عشر قرنًا على الرسالة يستجدون اليهود الحياة الذليلة، ويسألونهم ما يسمّى "بالسلام" وهو ليس في قاموسهم أصلًا. ها هم بعد أربعة عشر قرنًا جاء الله –تعالى–بهم لفيفًا. وقد أنذرنا الله وحذرنا من عودتهم للاستعلاء علينا وإذلالنا بحبل منه جزاءً على انحرافاتنا، وتمردنا على كتابنا، وحملنا له حملًا حماريًا.

لقد نسيَّ المسلمون ما جاء في سورة البقرة والإسراء والقصص والحشر وغيرها وظنوا أنَّ هذا الذي حدث كله لا علاقة له بالإسلام والقرآن والرسالة والرسول وتكوين الأمَّة ولو نظروا نظرة في تاريخهم لأدركوا أنَّ كل ما يحدث في أراضيهم وحولهم إنَّما هو سلسلة أحداث ومسيرة تاريخ متصل بدأ في غار حراء وما زال سائرًا لم يبلغ نهايته بعد. إنَّ الله –تبارك وتعالى– قد أسرى بعبده ليلًا من المسجد

الحرام إلى المسجد الأقصى؛ ولذلك دلالات عميقة لا يدركها الغافلون، بل المتدبرون وحدهم هم الذين يستطيعون بلوغ آفاقها فنبي الأميّين: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ** ... ﴾ (**الجمعة:٢**). فهذا النبي الأميّ أسري به ليتسلم القيادة الدينيَّة للبشريَّة كافة، فهو خاتم النبيّين وإمام المرسلين حامل الرسالة الخاتمة ومتلقي الكتاب الكونيّ، صنع من الأميّين نواة الأمَّة القطب، التي كان يفترض فيها أن تحمل الكتاب المشتمل على مشتركات الدين في الكتب كلها بعد تصديق القرآن عليه وهيمنته على ما فيه؛ لكي توصله إلى البشريّة كافة، ويظهر الدين به على كل ما عداه ويكون الدين كله لله، وتحمله الحمل الإنسانيّ اللائق به وبها إلى يوم الدين، فلم تلبث إلا قليلًا لتتحول إلى تحريفات أهل الكتاب التي شكلت أهم مسوغات استبدالهم وحركة وضع الأحاديث لحشو التفسير بها وإحلالها إن أمكن في بعض الأحيان محل كتاب الله.

جرت محاولات تجديد عبر عشرة قرون بعد ذلك فلم تفلح في تغيير ذلك الواقع. وابتلي المسلمون بالصليبيّين (المئة) عام وبالتتار لأعوام طويلة وأُجلوا عن الأندلس وحلت بهم شتى المصائب فلم يلتفتوا ولم يتعظوا ولم ينتبهوا إلى أنّ ذلك كلّه داخل في مسيرة تاريخهم الصعبة، ثم قيض الله –تعالى– الأتراك العثمانيّين وهم من الشعوب الأميَّة أيضًا لينقذوا بقاياهم من سيوف التتار وتدمير الصليبيّين، واستمر ذلك لأربعة قرون؛ لتكتمل الدورة التاريخية أربعة عشر قرنًا ولم يستيقظوا بعد.

وها هم يتراكضون بين يدي "نتن ياهو" وقومه يطلبون السلام الذليل فلا يجدون إلا الاستكبار والغرور والتعالي والإذلال وينتقلون من مبادرة إلى أخرى، كلما طرحت مبادرة اشتملت على تنازلات وذل وصغار أكثر من أختها، ولم يبقَ إلا طلب الحماية من أمريكا وأوربا، وهذه أيضًا قد فعلوها وكثير منهم يعتقدون أنّه لولا أمريكا وأوربا لافترستهم إسرائيل ولأكلت الأخضر واليابس من مواردهم، وقد يكون ذلك صحيحًا إلى حد مّا ما داموا لم يستيقظوا بعد ولم يعرفوا أنفسهم ولا دينهم ولا كتاب ربهم ولا رسولهم ولا دورهم ولا صيرورة تاريخهم، وما يزال أمامهم الكثير الكثير من الذل والعنت.

إن سورة الإسراء قد نبهت المسلمين بالنص الصريح على مراحل الصعود والهبوط والاستعلاء والانخفاض في مسيرة الأمة (المقبلة)، وربط ذلك بالإسراء، وبعد أن بيّن أنهم سيفسدون في الأرض مرتين

وليعلُنّ علوًا كبيرًا بيّن ما سيحدث في أولاهما وأخراهما، وبيَّن في سورة الحشر أنَّ وجودهم الطارئ في الجزيرة العربيَّة وحول المدينة وفي الطريق ما بين مكة والمدينة كان وجودًا طارئًا، وأنَّ الله قد كتب عليهم الجلاء من تلك الأرض؛ ليذهبوا إلى ما يحيط بالمسجد الأقصى؛ فكان ذلك الجلاء بداية الحشر المتصل بقوله –تعالى– في سورة الإسراء: ﴿فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ (الإسراء: ١٠٤)

وهذه الأحداث لو دُرِست بعناية بدلًا من تلك التعليقات السخيفة الفجة التي يصم آذاننا بها المعلِّقون الذين ما عرف جلّهم إن لم يكونوا كلّهم علاقة القرآن بتاريخ الأمّتين، بل وصناعة ذلك التاريخ وصيرورته بنوع من جدل بين الغيب والإنسان وطبيعة هذه البقعة المباركة بقعة التجوال الإبراهيمي. إنَّ الذي جعلني أفيض بهذا الذي قلته هو ما عُرف "بدليل الإجماع" فحين جئت لمراجعة هذه الأصول وجدت احتفاءً شديدًا بما عرف "بدليل الإجماع" ووجدت ذلك الحديث الضعيف بكل الطرق التي روي بها ينفخ في الناس نوعًا من الاستعلاء الكاذب ويعطيهم خدرًا لذيذًا بأنَّ هذه الأمَّة لا تجتمع على خطأ ولا تجتمع على ضلالة، وأنَّ فيها طائفة منصورة في الدنيا وناجية في الآخرة ستعالج كل مشكلاتها، والذي ينظر في الواقع الذي نعيشه يدرك ماذا أراد الوضَّاعون ومروجوا الأحاديث الضعيفة من وراء تخدير هذه الأمَّة وبث روح التواكل فيها كما حدث لخصومها من قبل، فخصومها كانوا يتشدقون بأنَّهم أبناء الله وأحباؤه، وهي تتشدق بالخيريَّة والوسطيَّة والشهادة على الناس وهي أمور قد فقدتها منذ أن ضربت سيوفها رقاب بنيها وتقاتلت فيما بينها دون أن تدرك تحذير الله –جل شأنه– الذي كان رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلّم– يرتجف عندما يقرأه أو يسمعه ويستعيذ بالله ويلح بالدعاء أن يحميَ أمته منه، ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ (الأنعام: ٦٥) فأيُّ إجماع هذا الذي يتحدثون عنه والذي لا نملك إلا أن نردد مع الإمام أحمد بن حنبل –يرحمه الله– قوله: "من ادعى الإجماع فهو كاذب"!